



SIATS Journals

**The Journal of Sharia Fundamentals for  
Specialized Researches**

**(JSFSR)**

Journal home page: <http://www.siats.co.uk>



مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

المجلد 4 ، العدد 1 ، كانون ثاني ، يناير 2018م

e ISSN 2289-9073

**نحو أسلوب أمثل لإثبات حُجَّةِ السُّنَّة**

**د. كريمة محمد سوداني**

**أستاذ مساعد: جامعة الأمير عبد القادر (سابقاً)، الجزائر**

**د. مقداد موسى فريوي**

**أستاذ مساعد: جامعة الشارقة – الإمارات العربية المتحدة**

**[karima952010@hotmail.com](mailto:karima952010@hotmail.com)**

**1439هـ – 2018م**



---

**ARTICLE INFO**

---

**Article history:**

Received 29/8/2017

Received in revised form 9/9/2017

Accepted 12/10/2017

Available online 15/1/2018

**Keywords:**

*Insert keywords for your paper*

---

## ABSTRACT

The Sunnah is the second source of Islamic legislation. Therefore, Muslim scholars took great care in terms of setting up standards of criticism and narration to distinguish the right hadith from the other, as well as the extraction of jurisprudential provisions that pertain to the acts of those responsible for orders and prohibitions. The Sunnah of the Prophet Muhammad has been exposed to many suspicions, especially on the side of its authenticity. In this sense, it was necessary to shed light on the best method to prove the legitimacy of the Sunnah to achieve the basic purpose represented in facilitating people's affairs and guiding them in their life away from the traditional treatment in presenting the denigrated suspicions and responding to them. The study dealt with the analytical approach to reveal the wisdom of the frequency of the whole Quran without the Sunnah of the Prophet, and the jurisprudence of both the biography and the Sunnah of the Prophet as well as the role of informative and modern technology in the service of the Prophet's Sunnah and its definition which no one denies its importance as an easy and modern means of assistance to get to its reality and understanding it properly calling people to follow and adhere to as a basis for the renaissance of our Islamic nation and upgrading it to the civilized role assigned to it when the rate of rightness is raised to the prophet (peace and blessings of Allaah be upon him). Hence, we conclude from this theoretical study the most important results, which can be summarized in the need to understand the Sunnah according to the mentioned restrictions taking advantage of modern technology with no exaggeration or negligence.

Study key words:

Al Sunnah Controls Biography approach jurisprudence Authentic Informative Technology



## الملخص

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، ولذلك اعتنى بها علماء المسلمين عناية فائقة من حيث إقامة موازين النقد والرواية لتمييز الصحيح من غيره، وكذا استنباط الأحكام الفقهية التي تخصّ أفعال المكلفين بالأوامر والنواهي، وقد تعرّضت السنة النبوية الشريفة قديماً وحديثاً إلى العديد من الشبهات لاسيما في جانب حجيتها، ومن هذا المنطلق كان لابد من تسليط الضوء حول الأسلوب الأمثل لإثبات حجية السنة النبوية لتحقيق المقصد الأساس منها في تيسير أمور الناس وهدايتهم في معاشهم، بعيداً عن المعالجة التقليدية في عرض شبهات المنكرين والرد عليها، فتناولت الدراسة بالمنهج التحليلي الحكمة من تواتر القرآن كله دون السنة النبوية، وضوابط فقه كل من السيرة والسنة النبويتين، وكذا دور المعلوماتية والتقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية والتعريف بها، والتي لا يُنكرُ أحدُ أهميتها البالغة كوسيلة عصرية مساعدة وميسرة للوصول إلى الثابت منها وفهمها فهما صحيحاً ودعوة الناس إلى اتباعها والتمسك بها، باعتبارها مقوماً أساساً لنهضة أمتنا الإسلامية، والارتقاء بها إلى الدور الحضاري المنوط بها متى ما صحّت نسبة الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وعليه نخلص من هذه الدراسة النظرية إلى أهم النتائج والتي يمكن إجمالها في ضرورة فهم السنة وفق الضوابط المذكورة، مع الاستفادة من التقنية الحديثة من دون إفراط أو تفريط.

كلمات مفتاحية للبحث:

السنة - ضوابط - السيرة - أسلوب - فقه - حجية - معلوماتية - التقنية

## المقدمة

الحمد لله الذي أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى، والصلاة والسلام على نبينا محمد الرسول المهتدى، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد،

يقول الله تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل: 44].

فقد بيّنت الآية الكريمة أنّ الوحي الذي أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء والمرسلين إنما يتمثل في شقّين لا غنى للأمة عنهما، ألا وهما: القرآن والسنة، ولعلّ بحث حجية السنة أمام من يدعي كفايته بالقرآن الكريم ليس وليد عصرنا، بل ظهر منذ القرن الأول الهجري، سواء ممن يُسمون أنفسهم بالقرآنيين، وليسوا بقرآنيين في حقيقة الأمر؛ إذ القرآن يأمر باتباع سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أو حتى من الكفار الجاحدين.

وقد أفاض علماؤنا السابقون الأجلاء في هذه المسألة برد شبهات المنكرين من القرآن ذاته الذي يأمر في العديد من الآيات باتّباع الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه في مثل قوله تعالى: ((يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(59)) [النساء: 59]، وفي آية أخرى يقول المولى عز وجل: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)) [النجم: 3-4]، والذي نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الوحي بقسميّه: المتلوّ وهو القرآن الكريم، وغير المتلوّ وهو السنة النبوية الشريفة(1).

والمسلمون منذ العهد الأوّل مُجمعون على وجوب العمل بالأحاديث النبوية متى ما صحّت نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأنّ الذين زعموا إبطال العمل بالسنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إنما أعوزهم الالتزام الصحيح بالمنهج القويم الذي تركه لنا نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ومن ثمّ فليس من حاجة ماسّة إلى دحض شبهاتهم؛ لأنها زائفة بنفسها، ولا تقوم دليلاً أو حجّةً على ما زعموه، وإنما الحاجة قائمة.

(1) انظر على سبيل المثال: الرسالة للإمام الشافعي، ص73 وما بعدها. ومن المحدثين انظر كتاب: دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتاب المعاصرين لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه.

وثمة سؤال يتوجه ونحن في عصر المعلوماتية والتطور التقني المهول، ألا وهو: كيف السبيلُ إلى إعادة الاعتبار لسنة نبينا الكريم كمصدر للتشريع الإسلامي، وكمقومٍ لنهضة أمتنا وأخذها بأسباب التقدم الحضاري أمام غفلة الكثيرين عن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم والمتمثل في التطبيق العملي لما في القرآن الكريم؛ إذ السُّنَّة النبوية هي المبيِّنة والشارحة لكتاب رب العالمين؟

إنَّ الجواب على هذا السؤال يقتضي نظرة تجديدية إلى ميراث النبوة من الأحاديث الشريفة؛ تُبَيِّن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته، وأنَّ سننه إنما جاءت لهداية الناس إلى الصراط المستقيم وتيسير أمورهم ورفع الحرج عنهم والأخذ بأسباب التمكين في الأرض، فالحكمة من كون النبي صلى الله عليه وسلم بشرا مثلنا هي سهولة التلقي عنه؛ إذ المشاكلة في النوع سبيل تقبل التشريع وامتثال الأوامر والنواهي، وصولا إلى الحياة الطيبة التي وَعَدْنَا إيها ربُّنا في قوله جلَّ من قائل: ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [النحل: 97].

وعليه، يأتي بحثنا هذا والموسوم بـ"نحو أسلوب أمثل لإثبات حجية السُّنَّة" لنتناقش مسألة حجية السنة ورد شبهات المنكرين وغيرهم، لكن لا بمسلك إيراد الشبهات وردها، ولكن وفق منظور جديد يتمثل في محاولة لتقديم السنة بالصورة المحببة، ومن أجل ذلك، أعددنا خطة بحثية تتكون من العناصر الآتية:

## المقدمة

**المبحث الأول:** الحكمة من تواتر القرآن كله دون السنة النبوية.

**المبحث الثاني:** ضوابط في فقه السيرة النبوية.

**المبحث الثالث:** ضوابط في فقه السنة النبوية.

**المبحث الرابع:** المعلوماتية والتقنية الحديثة ودورها في خدمة السنة النبوية والتعريف بها.

**الخاتمة.**

**فهرس المراجع والمصادر**



وقد استخدمنا في مناقشة مسائل بحثنا المنهج التحليلي، فهو الأنسب لمثل هذه الدراسات النظرية، وإن كان من صعوبات واجهتنا، فهي وفرة المادة العلمية وتنوعها وتشعبها بين القديم والحديث، مما استدعى جهداً في اختصارها ولم شتاتها.

### المبحث الأول: الحكمة من تواتر القرآن كله دون السنة النبوية

لقد تكفل الله تعالى لهذه الأمة بحفظ دينها بعد أن ضيّعت الأمم السابقة كتبها واعتراها التبديل والتحريف، أما الأمة الإسلامية فقد قال الله تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) [الحجر: 9]، والذِّكْرُ شاملٌ للوحي بقسميه القرآن والسنة، ولا عبرة بقول من قال: إنّ التعهد بالحفظ متعلق بالقرآن الكريم دون السنة النبوية، وإلا فلماذا عبّر الله تعالى بلفظ "الذِّكْر" وكان الأولى أن يقول "القرآن" ليكون نصاً صريحاً في الاكتفاء به دونما حاجة إلى الرجوع إلى السنة النبوية؟! وإذا قلنا إنّ حفظ القرآن الكريم كان بالتواتر، فلأنه كلام الله تعالى لفظاً ومعنى، فناسب أن يتناقله المسلمون كما هو مثلما أنزل على رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، ليسهل حفظه واستظهاره وتعلمه وتعليمه، وليكون المعجزة الخالدة على صدق رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم، وأنه الكتاب الخاتم لكل الكتب السماوية السابقة.

أما السنة النبوية فهي الشارحة والمبينة للقرآن الكريم، قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل: 44]. ومن عادة الشرح أن يكون أطول من المشرح، وهذه هي الفكرة في أنّ القرآن الكريم نُقل إلينا بالتواتر كي لا يرتاب فيه مرتاب، ولأنه متعبّد بتلاوته، وهو المعجزة على مرّ الأمكنة والعصور.

على أن السنة أيضاً حُفظت للمسلمين، بل ومنها ما نُقل بالتواتر، وهو موجود وجوداً كثرة كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله<sup>(2)</sup>، ثم إنّ الله تعالى قيّض لها علماء أجلاء حفظوها ودوّنوها ووضعوا لها القواعد والمقاييس وموازنين النقد العلمي، ليصحّ الاحتجاج بالثابت منها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والعمل بالقرآن الكريم ليس بأولى من العمل بالسنة النبوية، ومن ادّعى الاكتفاء بالقرآن دون السنة، فعليه بالدليل، قال الله تعالى: ((قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) [البقرة: 111]، بل إنّ القرآن الكريم يُكذّب ادّعاء هؤلاء، ويأمر في غير ما آية بطاعة الرسول الكريم صلوات ربي وصلواته عليه، كما في قوله تعالى: ((قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)) [آل عمران: 32]، وقد أحصينا المواضع في القرآن الكريم التي تأمر بطاعة الرسول

(2) انظر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ابن حجر، ص48.

صلى الله عليه وسلم فوجدناها اثنا عشر موضعا كلها تأمر بطاعة الرسول بعد طاعة الله تعالى، والعطف يفيد المغايرة، فإذا كان المراد بطاعة الله تعالى اتباع القرآن الكريم، فما المغزى من العطف عليه بطاعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إن لم يكن المراد طاعته في سنته، وقد قال الله تعالى: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4))) [النجم: 3-4]؟

على أنّ الأمر باتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم مع طاعة الله تعالى في القرآن لا يعني البتة الجمود؛ ذلك أنّ السنة النبوية الشريفة فيها من التسهيل والتيسير، بل وإعمال للعقل والاجتهاد ما يشهد لهذه الشريعة بأنها تتصف بالمرونة، وما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، وليست اختلافات الفقهاء والعلماء في الأحكام الفقهية إلاّ دليلاً على يسر هذا الدين ورفع الحرج والمشقة عن الناس.

ثمّ إنّ تعرّض السنة النبوية إلى الوضع مثلاً ليس سبباً لردّها وإبطال حجيتها، بل على العكس، إنّ حركة الوضع في السنة نتج عنها علمٌ فريد من نوعه حُفظت به السنة النبوية وميّزت به الأحاديث المقبولة من المردودة، وهذا دليل آخر على أنّ الله تعالى حفظ لهذه الأمة سنة نبيها كما حفظ لها كتاب ربها، وسيأتي في المبحث الثالث مزيد بيان عند الحديث عن ضوابط فقه السنة.

### المبحث الثاني: ضوابط في فقه السيرة النبوية

السيرة النبوية هي إحدى العلوم الشرعية التي اعتنى بها علماء الإسلام، ودوّنوا فيها المصنّفات العديدة، وقبل التطرّق إلى ضوابط فقه السيرة، نتطرّق أولاً إلى معنى السيرة النبوية وأهميتها دراستها.

#### أولاً-تعريف السيرة النبوية

قبل تعريف السيرة النبوية نُعرّج ابتداءً على المراد بالسيرة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

### 1- السيرة لغة:

قال في المعجم: "السين والياء والراء أصلٌ يدلُّ على مُضيٍّ وجرَّيان، يقال: سار يسير سيراً، وذلك يكونُ ليلاً ونهاراً. والسيرة: الطريقة في الشيء والسنة، لأنها تسير وتجري"<sup>(3)</sup>، وقال في القاموس: "السيرة: السنة والطريقة والهيئة"<sup>(4)</sup>، وفُسِّرت السيرة في قوله تعالى: ((سُنْعِيذَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)) [طه: 27]، بالهيئة، قاله الزبيدي<sup>(5)</sup>. فالسيرة بذلك تعني لغة: السنة والطريقة والهيئة، حسنة كانت أم سيئة.

### 2-السيرة اصطلاحاً:

تعني تاريخ شخصية من الشخصيات، فيقال: قرأت سيرة فلان، أي تاريخ حياته، ومنه علم السيرة الذي يبحث في تاريخ بعض الأعلام كالصحابة والتابعين والعلماء والصالحين<sup>(6)</sup>.

### 3-تعريف السيرة النبوية

لعلّ أجمع وأشمل تعريف هو ما تناقله المحدثون وأن السيرة مرادفة للسنة والحديث عندهم، وتشمل: "ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي"<sup>(7)</sup>. فالسيرة النبوية إذن هي كل ما يتعلّق بحياته صلى الله عليه وسلم من حين ميلاده إلى وفاته صلى الله عليه وسلم.

### ثانياً-أهمية السيرة ومكانتها:

إنّ دراسة السيرة النبوية من أهم المطالب التي يسعى إليها المسلم في حياته، ذلك أن الله تعالى يقول: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) [الأحزاب: 21] والأسوة تعني القدوة والأمّودج الذي يقتفي المسلم أثره لينال خيري الدنيا والآخرة.

(3) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، 120/3-121.

(4) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص528.

(5) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، 117/12.

(6) انظر: أبعاد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، 331/3.

(7) منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، ص27.



ولعلها كثيرة هي الكتب التي أُلِّفت في سيرة نبينا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، بين مطوّل ومختصر ومتوسّط، وهذا انطلاقاً من عناية المسلمين بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتسجيل دقائق التفاصيل التي عاشها نبينا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، والتي هي معالم للهداية الإنسانية، سطرّها المسلمون كما لم يُؤثر عن أي نبي آخر، فضلاً عن أي شخصية أخرى.

ويمكن تلخيص أهمية دراسة السيرة النبوية فيما يلي:

1. تفسير القرآن الكريم، إذ النبي صلى الله عليه وسلم هو الشارح والمبين لما جاء به القرآن الكريم، والسيرة هي التطبيق العملي لما جاء به القرآن الكريم.
2. فهم المشكل من الآيات القرآنية من خلال الوقوف على أحداث السيرة النبوية والملابسات المتعلقة بها.
3. الوقوف على روح التشريع ومقاصده العامة من خلال التطبيقات النبوية لآيات الذكر الحكيم في مختلف المواقف والأحداث التي مرّت بالمسلمين.
4. الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في الكثير من الشؤون الحياتية، إذ هو الأعلّم بما يصلح للمسلمين ديناً ودنياً.
5. الاستفادة من هديه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم وترسيخ المفاهيم الإسلامية في نفوس الرعيل الأول من المسلمين.
6. تعميق الإيمان برسالة الإسلام وأهدافه السامية في الارتقاء بالبشرية وتخليصها من الآفات الدينية والاجتماعية والمعرفية كالعبودية والاستغلال والخرافات.
7. التعرّف على جيل الصحابة الذين رووا لنا أحداث السيرة النبوية، والذين لنا فيهم أسوة حسنة.
8. تزويد المسلم بكمّ هائل من الثقافة الإسلامية التي تعني الهوية والانتماء والاعتزاز بتاريخ الأمة الإسلامية.

ولهذه الأهمية البالغة لدراسة السيرة النبوية كان لا بد من ضوابط في فهمها، وهو موضوع العنصر الثالث من هذا المبحث.

### ثالثاً: ضوابط فقه السيرة النبوية

إذا كانت السيرة النبوية على هذا القدر من الأهمية، فكيف يمكن أن نستعين بها في النهوض بواقعنا، ومواجهة الغزو الحضاري والفكري الذي يجعلنا كمغلوبين مولّعين باتباع الغالب، لاسيما فيما يهدد مبادئنا وقيمنا التي هي أساس وجودنا؟

إنّ الجواب على هذا السؤال يكون بذكر الضوابط التي ينبغي لدارس السيرة النبوية أن ينتهجها في دراسته ليُحقق بذلك المقصد من العلم بالسيرة، وهو الاقتداء به صلى الله عليه وسلم واستخلاص الدروس والعبر التي نحن في حاجة إليها للنهوض بواقعنا، وبالنظر إلى تنوع كتب السيرة واختلاف وجهات نظر أصحابها، والنواحي من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم التي ركّز عليها كل مؤلّف، نجد لزوماً أن تُحدّد ضوابط في فهم السيرة النبوية، وهذه الضوابط يُمكن تلخيصها فيما يلي:

### 1- فهم العلاقة التكاملية بين مقاصد الشريعة وبين السيرة النبوية

ذلك أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم لا سما ما كان منها بعد البعثة إنما هي امتثال وتمثيل لأوامر الشرع في مختلف مجالات الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والمعرفية، فالنبي صلى الله عليه وسلم باعتباره المعلم الأول لأمة الإسلام، هو قدوتها وأسوتها في مراعاة المصالح ودرء المفاسد، وسيرته الشريفة لا يمكن بأي حال أن تُصادم قوانين التشريع وروح الإسلام في تحقيق غاياته الكبرى.

### 2- اعتماد القرآن الكريم كمصدر للسيرة النبوية

فقد حوت العديد من السور والآيات الكريمة الكثير من أحداث السيرة النبوية، وهذا ما يُسهّل معرفة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأقواله، وعليه فإن كتب التفسير هي بالتبع من أهم مصادر السيرة النبوية، على أنّه لا ينبغي الركون إلى ما لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الضابط الموالي.

### 3- اعتماد ما صح من الأخبار دون غيرها

إنّ وُلِعَ بعض كُتّاب السيرة بتدوين كل ما وصل إليهم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم جعلهم أحياناً يقعون في رواية أحداث وأخبار لم تثبت صحتها إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وربما كانت أبعد ما تكون عن واقع الحقيقة والصواب، ولعلّ المدخل في ذلك هو التساهل في رواية تلك الأخبار كونها لا تتعلّق بالحلال والحرام، أو كونها تروي تفاصيل دقيقة أجملتها الأخبار الصحيحة، ولئن كان الأمر كذلك، فلا بد من إعادة النظر فيها وتمحيصها، لأن أحداث السيرة هي في حقيقتها أنموذج يُحتذى، وتشريع يُؤخذ به في حياتنا.

#### 4-الإمام بمعاني اللغة العربية وأساليبها

ذلك أنّ القارئ للسيرة النبوية إنما يقرأ سيرة نبي عربي، وقد كُتبت باللغة العربية، وللوقوف على معانيها لابد من إجادة معتبرة للمعاني والأساليب العربية لفهم المراد من رواية الأحداث والأخبار، حتى لا تخرج مجريات الأحداث والأخبار عن مرادها، وعن الحكم والمواظ التي ترمي إليها.

#### 5-معرفة حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وصفاته دون إفراط أو تفريط

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو المبلّغ عن الله تعالى، وهو خير البشرية جمعاء، وقد زكاه الله تعالى فقال جل من قائل: ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) [القلم: 4].

ولا شك أنّ حب النبي صلى الله عليه وسلم من حب الله تعالى، وطاعته من طاعته جل وعلى، قال تعالى: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(92)) [المائدة: 92]، وجاء في الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (8).

وبالنظر إلى واقع بعض من كتبوا في سيرة الرسول الله صلى الله عليه وسلم، نجد أنهم إمّا قصرُوا في جنبه صلى الله عليه وسلم، فكانوا كما قال أبو سفيان للعباس رضي الله عنه عمّ النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى أبو سفيان كتائب الصحابة رضي الله عنهم يوم فتح مكة قبل أن يسلم: "والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً، فقال العباس: ويحك يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: فنعمة إذا" (9).

وفريق آخر غالى في حب النبي صلى الله عليه وسلم، فرموا روى الخرافات وما لا يستسيغه عقل. والحق أنّ تتبّع المنهج الوسط، فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله، وهو إمامنا وهادينا، وسيرته وسنته طريق اتباعنا ونجاتنا متى ما ثبت إسنادها إليه صلى الله عليه وسلم.

(8) رواه: البخاري: الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، 12/1 (رقم 15)، ومسلم: الإيمان، باب أُحِبِّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، 67/1 (رقم 44).

(9) المعجم الكبير، الطبراني، 9/8 (رقم 7280)؛ ودلائل النبوة، البيهقي، 69/5 (رقم 1779).

## 6- التمييز في قراءة السيرة النبوية بين مختلف المستويات الفكرية

فحتى تُحقّق كتب السيرة الفائدة المرجوة منها، لا بدّ من توجيه القراء إلى المطالعة الانتقائية بما يُوافق مستوياتهم الفكرية والمعرفية حتى لا تختلط المعاني، وتلتبس الحُكم والمواعظ في العقول، من حيث التراكيب اللغوية وأساليب الدعوة والخطاب، والمطولات والمختصرات، لتتلاءم مع مستوى فهم كل قارئ، ويتحقّق الهدف المرجوّ منها.

## 7- ربط أحداث السيرة النبوية بالواقع

وهو مقصد المقاصد، لأنّ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت تُؤرّخ لصدر الإسلام، إلا أن الغرض منها هو إسقاطها في واقعنا، والاستفادة منها في حل مشاكلنا وقضايانا، ولسنا نقرأ سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما نقرأ سيرة شخصية تاريخية، نُعجب بها حيناً، ونتغنى بها حيناً آخر، ثمّ لا نجد لها أثراً في حياتنا. إنّ الكثير مما يعترضنا من القضايا والأحداث، إنما نحتاج فيها إلى تمثّل كيفية معالجة النبي صلى الله عليه وسلم لها في حياته، إذ الرسالة الخاتمة ما جاءت إلا بعد أن وصلت البشرية إلى درجة من الوعي والحضارة، لتكون قادرة على تمثّل الأحكام الشرعية في كل مكان وزمان، وفق مقاصد وأهداف تشريعية حاضرة لدى كل المجتمعات على مرّ العصور. هذا بعض ما يُمكن أن يقال في هذا المبحث.

وننتقل الآن للحديث عن المبحث الموالي، وموضوعه: ضوابط في فقه السنة النبوية.

## المبحث الثالث: ضوابط في فقه السنة النبوية

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي بذلك ذات أهمية بالغة في معرفة الأحكام الشرعية بمختلف نواحيها من عقدية وتكليفية وأخلاقية واجتماعية.

وهذه كتب السنة الشريفة قد حفلت بمئات بل بآلاف الأحاديث النبوية التي نُقلّت لنا سنن النبي صلى الله عليه وسلم وآثاره التي بيّن فيها القرآن الكريم، وهي المهمة التي جاء لأجلها، قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [النحل: 44].

وقد قيّض الله لهذه السنن علماء جهابذة، قاموا أتمّ قيام بغربلتها وتمحيصها وتنقيتها مما شابها مما ليس منها، فقعدوا القواعد، وسنّوا القوانين التي بها يُعرف مقبول السنن من مردودها، ولم يألوا جهداً في تتبع الأحاديث على كثرتها، والرواة على تنوع مشاربهم ومذاهبهم وبلدانهم، ودراسة التواريخ والسير، وكل ما له علاقة بدراسة السنة النبوية الشريفة، للوقوف على أصحّ الاستنباطات منها.

إلا أنه لا بدّ في فهم السنة النبوية فهما صحيحا من التقيّد بمجموعة من الضوابط والمعايير، تجعلنا أقرب إلى فهم الخطاب النبوي الشريف، وإدراك معانيه ومراميه، في إطار الشريعة الإسلامية السمحاء.  
ولعلّ من أهمّ تلك الضوابط:

### أولاً: التحقق من ثبوت النصّ الحديثي وصحّة نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

فكثير من الاختلافات في الاستدلال بالسنة النبوية إنما منشؤها من تعارض الأحاديث النبوية انطلاقاً من درجة صحتها، وعليه فلا بد من الجمع بينها إن أمكن الجمع، وإلا فالترجيح يكون بتقديم الصحيح على غيره، ولذلك نجد الإمام الشافعي يقول: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"<sup>(10)</sup>.

وهذا التحقق من صحة الأحاديث النبوية يُرجع فيه إلى أهل الاختصاص والصنعة من المحدثين، حيث أفردوا لذلك الكتب والدواوين، ككتب الجرح والتعديل والعلل وتخريج الأحاديث وغيرها.

### ثانياً: فهم النصوص الحديثية في ضوء القرآن الكريم

فلا يمكن لحديث نبوي شريف صحيح ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يتناقض مع تشريع قرآني، أو يتنافى مع حكم من أحكامه، وكيف يكون ذلك والسنة هي الشارحة والمبيّنة للقرآن الكريم، وهل يُمكن للشرح أن يخالف المشروح، والشارح هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمشروح هو كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

وعليه فالأصل أن تُفهم الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة التي تختلف في ظاهرها مع القرآن الكريم في ضوء مقاصد القرآن الكريم وتوجيهاته الكبرى، حتى لا يبقى لمحتج حُجة في ادعاء إعمال القرآن الكريم دون السنة النبوية الشريفة.

### ثالثاً: فهم النصوص الحديثية في إطار مقاصد الشريعة وروح الإسلام

وهذا الضابط يستدعي جمع الأحاديث النبوية الشريفة في الموضوع الواحد أو المسألة الواحدة، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وكذا السياق الذي ترد فيه تلك الأحاديث، يقول الإمام أحمد رحمه الله: "الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً"<sup>(11)</sup>.

(10) المجموع شرح المهذب، شرف النووي، 63/1.

(11) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، 388/4.

ويقول ابن القيم رحمه الله: "السياق يرشد إلى تبيين الحمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته" (12).

ومما ينبغي مراعاته أيضا ضرورة العلم بأساليب اللغة العربية وتراكيبها ودلالات ألفاظها، للوصول إلى استنباط الأحكام التشريعية استنباطا سليما أكثر ما يكون موافقا للحق والصواب؛ فلا يُفتى بحكم هو منسوخ، أو خاص بحادثة معينة، أو غير ذلك مما يبدو مخالفا ومعارضاً لروح الشريعة السمحاء.

#### رابعا: الجمع بين مختلف الأحاديث ودرء التعارض عنها

وهذه قاعدة مهمة، بل وألف في ذلك بعض العلماء، يقول الإمام الشافعي: "لزم أهل العلم أن يمشوا الخرين على وجوههما ما وجدوا لإمضائهما وجهها، ولا يعدوئهما مختلفين وهما احتملان أن يُمضيا، وذلك إذا أمكن فيهما أن يُمضيا معا أو وجد السبيل إلى إمضائهما ولم يكن منهما واحد بأوجب من الآخر" (13).

فإذن ردّ التعارض عن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما أمكن الجمع بينها، هو سبيل إلى إثبات حجية السنة الشريفة، وإلجام السنة المتخَرِّصين والمشككين في هذا الدين بتشكيكهم في سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

#### خامسا: معرفة أسباب ورود الحديث

كثيرا ما ترد بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مرتبطة بأحداثها التي وردت فيها، والعلم بتلك الأحداث يسهم في إزالة بعض إشكالاتها، ويكشف العلة والسبب في صدورها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا يوضح المقصود بها والمعنى منها، وما إذا كانت الأحكام التي جاءت بها خاصة أو عامة، قال البدر الزركشي: "قد ردت عائشة رضي الله تعالى عنها على الأكابر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بسبب إغفالهم سبب الحديث" (14).

(12) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، 4/ 815.

(13) الرسالة للإمام الشافعي، ص 341. ونجده رحمه الله ألف في هذا السياق كتابه "اختلاف الحديث"، ومن اعتنى أيضا بدرء التعارض عن الأحاديث النبوية: ابن قتيبة في كتابه "تأويل مختلف الحديث"، والطحاوي في كتابه "مشكل الآثار".

(14) النكت على مقدمة ابن الصلاح، 1/ 71.

وقد التفت العلماء إلى أهمية أسباب ورود الحديث فألّفوا فيها كتباً مستقلة، ككتاب "أسباب ورود الحديث أو اللعم في أسباب الحديث" لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، و"البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف" لإبراهيم بن محمد الحنفي الشهير بابن حمزة الحسيني (ت 1120هـ)،

وما ذلك إلا لأهمية أسباب الورود في فهم وتطبيق ما تدلّ عليه من معان وأحكام شرعية.

ونصل الآن إلى الحديث عن أهمية المعلوماتية والتقنية الحديثة في خدمة السنة النبوية والتعريف بها، وهو موضوع المبحث الرابع والأخير.

#### المبحث الرابع: المعلوماتية والتقنية الحديثة ودورها في خدمة السنة النبوية والتعريف بها

لقد تطورت وسائل البحث والاتصال الحديثة في عصرنا الحالي بما لا مجال فيه لغضّ الطرف عنها، أو إغفالها وعدم الاستفادة منها، وكما أنّ الله تعالى حفظ الدين على مرّ العصور بمختلف وسائل الحفظ التي كانت متوفرة: من الحفظ في الصدور، إلى الكتابة في الصحف والسطور، إلى النقط والشكل، إلى قيام موازين النقد والرواية، فإنّ من وسائل الحفظ لهذا الدين في عصرنا هذه التقنية الحديثة متى ما سُخِّرت لخدمة كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

بل إنّ استخدام هذه التقنية بالإضافة إلى فوائدها في تسهيل البحث والمطالعة، هو من أحسن الوسائل لتقديم نصوص السنة الشريفة وأحكامها والتعريف بها، لما أنّ الناس في مختلف أنحاء العالم صاروا يتكلمون هذه اللغة المشتركة الجامعة، والتي تختصر المسافات وتقرب الآراء والفلسفات.

كما أنّ ظهور أنواع متعدّدة للتقنيات الحديثة أدّى إلى تنوّع الاستفادة منها بحسب مجالاتها وفوائدها، ومن أهم هذه التقنيات:

1- أجهزة الحواسيب والأقراص المضغوطة وأجهزة العرض ومختلف التطبيقات، وهذه لا غنى عنها في أي حديث عن الاستفادة من التقنية الحديثة.

2- الشبكة المعلوماتية (Internet) والتي هي موسوعة العصر، بما تضمّه من ملايين المعلومات والكتب والمقالات والمقاطع المصورة والمسموعة والمرئية، وهذه الشبكة تزداد أهميتها حين نعلم أنّها تحوي محركات بحث تعرض

النتائج في ثوان معدودة، لتختصر الوقت والجهد، وتأتي على ذكر كل ما يتعلّق بموضوع البحث، هذا من جهة، ومن جهة ثانية: ما تسمح به هذه الشبكة من إنشاء للمواقع الإلكترونية الخادمة لأي مجال نريده؛ السنة وغيرها، بتقنيات يسيرة سهلة التداول والتعلّم، وما تسمح به أيضا من سبل التواصل والتعارف وتبادل الخبرات والمعلومات، وخاصة التعريف بتراثنا الثقافي وموروثنا الحضاري.

3- المواقع الإلكترونية المتنوعة، والتي لها دور كبير في التعريف خاصة بالسنة النبوية وتاريخها وأهم كتبها وعلومها، ودحض الشبهات عنها، وهي كثيرة ومتنوعة، كموقع: ملتقى أهل الحديث، وموقع شبكة السنة النبوية وعلومها، وموقع المحدث، بالإضافة إلى المواقع الإسلامية العامة، والتي تُخصّص للسنة محاور ضمنها، مثل موقع نداء الإسلام، وموقع الإسلام سؤال وجواب.

#### 4- مختلف البرامج، كالمكتبة الشاملة، والمكتبة الوقفية.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه هناك بعض المحاذير في استخدام التقنية الحديثة، كي تؤدي دورها الفعّال في التعريف بالسنة النبوية والاستفادة منها، وإطلاع الآخرين عليها، وهذه المحاذير يمكن إجمالها فيما يلي:

1. تولّي غير المختصين العمل في مجال البرمجة للسنة، مما قد يؤدي إلى حصول الأخطاء.
2. غياب الدقة والعمل المنهجي المؤسّس.
3. كثرة الأخطاء المطبعية.
4. إغفال إدراج مقدمات التحقيق، والتعاليق مما يقلل الاستفادة من الكتب والموسوعات الإلكترونية.
5. الاختصار أحيانا على إدراج نسخ "بي دي اف" دون "ورد" مما يصعب من عملية الاقتباس وتصحيح الأخطاء خاصة.
6. غياب التنسيق وتبادل الخبرات بين العاملين في هذا المجال، مما يُضعف الجهود ويبطئ تطور تلك البرامج والمواقع.

هذا، وما ذكرناه من سلبيات لا يُنقص بحال الإيجابيات الكثيرة لما وفّرتة التقنية الحديثة، ولازالت الجهود تتضافر لخدمة السنة والإسلام بشكل عام، وإذا ما تم التعاون فيما بينها فستكون النتائج أفضل وأنفع ولا شك.



## الخاتمة

إن السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي لا يمكن إلا أن تحتلّ مركز الصدارة في حياة المسلمين، وهذا يتطلب عنايةً مركّزة من قبل أهل الاختصاص؛ لتقديم هذه السنة صافيةً نقية، ليس بحمل الناس على آراء مُعينة، وإنما بعرض مختلف الآراء المستنبطة من الأحاديث النبوية الشريفة، وإظهار سماحة الشريعة الإسلامية بتنوع مصادرها، وفتح باب الاجتهاد اعتماداً على الأدلة الشرعية الصحيحة.

ومن خلال ما تمت مناقشته ضمن صفحات هذا البحث، يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

1. حفظ الله تعالى كتابه الكريم كما حفظ سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، فالقرآن الكريم حُفظ بالتواتر، والسنة النبوية منها ما حُفظ بالتواتر، ومنها ما أقام له علماء الحديث موازين النقد والرواية.
2. اعتنى المسلمون بدراسة السيرة النبوية انطلاقاً من أهميتها في تفسير القرآن وفهم المشكل والوقوف على مقاصد التشريع، والافتداء به صلى الله عليه وسلم وبصحابته رضوان الله عليهم.
3. حتى نستفيد من سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في حياتنا لا بد من ضوابط في فهمها؛ كالرجوع إلى القرآن الكريم، واعتماد الصحيح من الأخبار، ومعرفة أساليب اللغة العربية، وربط أحداث السيرة بواقعنا.
4. وكما أنه لا بد من ضوابط في فهم السيرة النبوية، لا بد أيضاً من ضوابط في فهم السنة النبوية، وأهمها: التحقق من صحة الأحاديث، وفهمها في ضوء القرآن الكريم ومقاصد التشريع، والجمع بين مختلف الأحاديث ودرء التعارض عنها ما أمكن.
5. ضرورة الاستفادة من التقنية الحديثة كوسيلة عصرية لفهم السنة النبوية والتعريف بها، وتسهيل تناولها والبحث في دواوينها، والارتقاء بالجهود في هذا المجال للحصول على نتائج أفضل، مع أخذ الحيطة من محاذيرها حتى لا تكون النتائج سلبية.

هذا ومن جملة التوصيات التي نوصي بها من خلال هذا البحث الذي قمنا به:

1. إقامة المؤتمرات والملتقيات دورياً؛ التي تُعنى بدراسة السنة والسيرة لتبادل الخبرات والاطلاع على أحدث الأبحاث والمنشورات.
2. مراجعة الجهود الإلكترونية وتصحيح الأخطاء من قبل مختصين في البرمجيات وفي علم السنة النبوية.

3. العمل على دعوة الآخرين للإسلام من خلال التعريف بسيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وسنته المطهرة، وبيان جانب السماح والتيسير ومراعاة المصالح في ديننا الإسلامي الحنيف من خلال مختلف وسائل الدعوة التقليدية كالكتب والملتقيات والندوات، أو التقنية مثل المواقع الإلكترونية ومختلف البرمجيات.

### فهرس المصادر والمراجع

1. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، بيروت: دار الكتب العلمية، 1978م.
2. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ط1، مكتبة مكة المكرمة: تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخران، 1416هـ - 1996م.
3. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، مرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
4. دفاع عن السنة ورد شبهة المستشرقين والكتّاب المعاصرين، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت1403هـ)، ط1، مكتبة السنة، 1989م.
5. دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ).
6. الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، المكتبة العلمية.
7. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير-اليمامة، 1407هـ-1987م.
8. صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ)، بيروت: دار الجيل-دار الأفق الجديدة.
9. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
10. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ).
11. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، 1404هـ-1983م.

12. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
13. منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، بيروت: دار الفكر-دمشق: دار الفكر المعاصر، 1997م.
14. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط1، الرياض، مطبعة سفير، 1422هـ.
15. النكت على مقدمة ابن الصلاح، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.